دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد

- دراسة في الخط المروى
  د. جعفر ميرغني
- الطريقة السمانية القريبية (اتجاهاتها في التربية والسلوك)
  بروفيسور حسن الفاتح قريب الله
- سلطنة الفونج الإسلامية : دورها فى تاريخ سودان وادى النيل
  بروفيسور يوسف فضل حسن
- مصطلح الاستشراق : أبعاده التاريخية والمنهجية
  بروفيسور إبراهيم عكاشة
- تجربة المسيحية فى مجتمعات غرب إفريقيا فى القرن التاسع عشر الميلادى
  د. عبدالرحمن أحمد عثمان
- الصراع الدولى والإقليمى على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر وأثره على دول الجوار الإفريقى . (دراسة جيوبوليتيكية)
  د. هاشم محمد الأمين

العدد الثانى والعشرون ديسمبر ١٩٩٩م رمضان ١٤٢٠هـ

محاولة لدراسة الظاهرة القيادية للخليفة عبدالله بن محمد تورشين

د. بركات موسي الحواتي *

١/ مدخل

١/١ : يبدو جليا للباحثين في تاريخ البلاد أن أغلب الذين وثقوا لأحداث الثورة المهديّة – أو غيرها من المنعطفات – قد أخذوا أو على أسوأ تقدير – تأثروا فيما سجلوا بكتابات الأجانب ممن أتيح لهم أن يعايشوا تلك الأحداث في ظروف عصيبة انعكست على ماسجلوا ، بالإضافة لتفسيراتهم التي ارتبطت بالانطباعات الشخصية وردود الفعل ، والغرض السياسي والديني (سلاطين ، شارل نيوفولد ، أوهلدر ، عبدالقادر فوزي ، ونجت .. الخ)

٢/١ : بالإضافة لهذا التشويه المقصود – فإن التوثيق ، لم يتجاوز (الوصف الوقائعي) – فلم تسبر غور تلك الأحداث من حيث محركاتها الفعلية ، وهو أمر يقوم على المنهج الدقيق والمعايير العادلة – بعيدا عن الافتراضات الخاطئة ، والتفسيرات المغرضة .

٣/١ تقوم المحاولة علي التحليل العلمي – بتركيز على المدرسة السلوكية ، وتطرح ابتداء ما هو موقع عبدالله بن محمد في المجتمع بينهم ، قبل وأثناء وبعد الدولة المهديّة .. ماهي الخصائص والظروف التي حكمت نشأة تلك القيادات في الوسط الاجتماعي ، وأين المهديّة من التراث الإسلامي السلفي؟ . هل ثمة قواعد أو مباديء عامة تحكم السلوك الفردي وتنعكس بالتالي علي السلوك الجماعي؟ كيف وإلى أي مدى؟ . وفي إيجاز فإن التقصي المطلوب يقوم علي درجة ومدى التفاعل بين القيادة والمجتمع من حيث الآثار المتبادلة ، وبمعنى آخر يقوم النهج السلوكي على دراسة مجموعة ونتائج التصرفات الخارجية (للقائد) ، وعلاقاتها بالمحركات النفسية والاجتماعية .. ومدى التوافق أو التناقض بينها .. المقصود تفسير (سلوك) الخليفة – كما بلورته الوقائع والاستجابات في ضوء مقومات شخصيته .. وفي ضوء مكونات المجتمع (الأسرة – العشيرة– القبيلة – الثقافة المحلية ، الثقافة العامة – الخلوة – الدين – المكان – الزمان) .

٤/١ فرضت الثورة المهدية (في فكرتها وتطلعاتها) واقعها على خريطة النظام الدولي

* استاذ مساعد متعاون بكلية الشريعة بجامعة افريقية العالمية

آنذاك – وتعارضت بل تناقضت مع مصالحه في المنطقة – فكان لابد من التخلص منها (ماديا ومعنويا) وتحركت في ذلك المسار (ترسانة الحرب والإعلام الاستعمارية) فكانت حربا تجاوزت كل معاني الشراسة ، للاستئصال الحضاري ، وكان للخليفة بحكم (دوره) – النصيب الأكبر في الاستئصال المادي والمعنوي .. ولم يكن كل ماقيل صدقا يبرر ذلك . وتقوم المحاولة على منهج يحقق في الأسباب والدوافع من خلال محيطها .

٢/ الإطار الفكري للدراسة المقترحة :

١/٢ لايخرج سلوك الخليفة عبدالله عن (حركة) لها مصدر وروافد، ولها أهداف واضحة، وأخرى غير معلنة .

٢/٢ مجموعة تصرفات وتعبيرات (مواقف / قرارات) تخضع لعلاقة تفاعل بين الفرد (الخليفة) والمجتمع من حوله .

٣/٢ إن (سلوك) الخليفة هو (عملية) مواجهة في مواقف مختلفة – مكانا وزمانا – وهو محاولة أقلمة ، وتكيف مستمرين من خلال :

١/٣/٢ القوة المادية أو القوة المعنوية

٢/٣/٢ المناورة (حيلة + مساومة)

٣/٣/٢ الإقناع والاقتناع

٤/٢ أن الفرد يتأثر في سلوكه بالوسط والبيئة ، وأن هذه البيئة لابد أن تنعكس وتتأثر بخصائص الشخصية الفردية من حيث قدرتها على التأقلم والتكيف بالبيئة – وهنا لابد من الإشارة لعلاقة السلوك الفردي بالسلوك الجماعي .

٥– تعبر درجة الاستجابات (قرار أو وقائع) عن المواجهة بين (الشخصية) والوسط الذي تعيش فيه .

٦– ينشأ الصراع – في درجاته المختلفة – بين الملوك كما تعبر عنه الوقائع أو القرارات، وبين الشرائح التي تتعارض مصالحها مع تلك الاستجابات (سياسي / اقتصادي/ اجتماعي) ويمكن القول – في مثل هذه الأحوال إن السلوك قد أدى إلى حالة من حالات التعدي والعدوان .

٧– أن الصراعات الداخلية – كما بلورها (السلوك) في شكل مواقف ووقائع تقوم علي :

١/٧/٢ سلطة (استخلاف) يريد (الخليفة) الاحتفاظ بها استنادا إلى قناعاته بمشروعيتها (تعيين المهدي + الحضرة النبوية)

٢/٧/٢ محكومين عليهم بالخضوع اختيارا أو قسرا – لمفهوم وموجهات تلك السلطة .

(معارض) – ظاهر أو مستتر – يتحين الفرص لسقطات تلك (السلطة) فينتقل من خانة المحكوم إلى خانة الحاكم .

٨/٢ : أن فئات المجتمع (الوسط) في ضوء (٧/٢) لم تخرج عن :

١/٨/٢ : (حاكم) يمارس السلطة بغض النظر عن سلطاته واختصاصاته .

٢/٨/٢ رجل دولة (على المستوي السياسي والعسكري والإداري) من ذوي الولاء (الأقل في مرحلة التأمين السياسي)
٣/٨/٢ صناع قرار (بحكم الولاء) يعقوب/ مجلس الأبهات
٤/٨/٢ صانعي رأي عام (فقهاء / شيوخ / زعماء قبائل)
٥/٨/٢ أعوان أو حواريين(مؤمنين عقائديا)
٦/٨/٢ تابعين (درجة من درجة الأعوان – أقل منهم شأنا)
٧/٨/٢ منتفعين
٨/٨/٢ مصفقين

٩/٢ أن القيادة ظاهرة اجتماعية معقدة لايمكن تفسيرها وفق منظور واحد ، فهي فردية من ناحية ، ومجتمعية من ناحية أخرى – فهي ضرورة في سلم المجتمع تفرضها ضوابط ثقافية واجتماية واقتصادية . والقائد كما يقال شخص استطاع أن يجسد في إرادته ، وبالتالي في سلوكه ، مجموعة من الخبرات والقدرات الذاتية الموروثة والمكتسبة بل إنه في بعض الأحيان يكاد يقوم بعمليات مسرحية لترسيخ مثل ذلك الانطباع ويبدو مهما – في هذا الإطار الإجابة على :

١/٩/٢ لماذا تتجه إرادة أفراد المجتمع لتفضيل شخص علي آخر في قيادة ذلك المجتمع ، أو ربما لماذا يفرض (القائد) نفسه على ذلك المجتمع ؟

٢/٩/٢ لماذا تختار الجماعة هذا الشخص لتضع فيه ثقتها وتنساق خلفه وتفديه ، على الرغم من تجاوزات وربما (دكتاتورية) هذا الشخص .

٩/٢ /٣ لماذا ينجح شخص معين في قيادة المجتمع وتوجيهه والتحكم في مصيره السياسي ؟ .

٤/٩/٢ من هو (القائد) في ظل الشرعية الثورية ، وفي ظل المؤسسية الشرعية ؟ هل هو ممثل القدر ؟ هل هو وسيلة المواطن .. في إعادة الثقة بالوطن وبالدور ؟ .

١٠/٢ للقيادة معنى لغوي بحت – كما أورد ابن دريد في جمهرة اللغة ، من مادة (ق ، و ، د) والقود هو طول العنق – والقياد هو حبل تقاد به الدابة ، كما يثبت الصحاح في اللغة والعلوم . والفعل اليوناني Archein بمعنى يبدأ أو يقود وهو يتفق مع الفعل اللاتيني Agere بمعنى يحرك أو يقود ويوصف القائد في روما بأنه (Dox) بمعنى الرأس وهي نفس الصفة التي يطلقها الاثيوبيون على رؤسائهم (مثل الرأس عدار) والقيادة فنيا هي توجيه وضبط وآثارة الآخرين – فهي تتصل بأبعاد النفس والعقل لما تثيره من نشاط وحماسة وبث لروح الإبداع ، وهي عملية تفاعل مستمر بين (القائد / المجموعة / الموقف / النشاط) والقيادة – قيم تؤثر – في الجسد السياسي – بمختلف قواه وماظل محلا للتساؤل هل تعكس القيادة صفات مكتسبة أم موروثة ؟ وإلى إي درجة ، وبصرف النظر عن ذلك – فإن القيادة تعبير عن صفة من صفات المجتمع يجسدها القائد .. فما هي طبيعة ذلك القائد .

١/١٠/٢ القائد الرئيس The Boss ويمتاز بقوة الإقناع – والقدرة على التلاعب بالجماهير – وتجاوز الأزمات بالتحايل ، قوي وصلب ومصادم ، قادر علي التنظيم ومن خصائصه : حب السلطة ، البرجماتية (الذرائعية) يخشى الإصلاح .

٢/١٠/٢ القائد الديمقراطي The Democratic يناقض الصورة السابقة ، فهو معتدل ويميل للتكيف وفقا لما تمليه الظروف . علي استعداد للتفاهم ، يميل للتعامل ، ماهر في المناورة وتوظيف المواقف ، يؤمن بالمؤسسية ، وليس عدوانياً

٣/١٠/٢ البيرقراطي The Burcrat (وهو الذي توصل للقيادة من خلال التدرج الوظيفي – فهو بطيء ، حذر ، متردد في اتخاذ القرار ، لايميل للابتكـــار والإبـــداع والمبادرة (جامد) يفسر مواقفه الحذره وتردده بالانضباط.

٤/١٠/٢ القائد المصلح The Reformer هو مثالي ، يعمل لخلق عالم جديد – فهو يرفض كل العقبات أمام ذلك – إيمانه بالتغيير كبير – يؤمن بالمنطق والحجة .

٥/١٠/٢ القائد المثير (The Agitatore) فهو درجة من درجات الإصلاح ، ميال لاستعمال العنف في سبيل ترسيخ أفكاره وتحقيق أهدافه ، عقائدي ، الأمر بالنسبة له إما مع أو ضد ، ميال إلى تضخيم الخلافات ، يرفض التسامح وأنصاف الحلول .

٦/١٠/٢ القائد الفكري The Theorista هو مفكر يعيش – في عالم التصور أكثر من الواقع هذه النماذج – ليست ثابتة – بل إنها – وهو الأكثر وجودا –تتداخل على درجات ونسب متفاوتة يحكمها في ذلك (الموقف) .

٣ : تســـــــاؤلات :

١/٣ في ضوء ذلك العرض يمكن التساؤل عن :

١/١/٣ هل استطاع (الخليفة) أن يؤسس لنظام معلومات ، يمكنه من التحرك السليم بالقرار السليم زمانا ومكانا ؟

٢/١/٣ هل استطاع (الخليفة) أن يخلق الخلفية المتينة لبناء الدولة ؟ .

٣/١/٣ مدى خلق التفاهم والتقارب بين عناصر المجتمع السياسى .

٤/١/٣ مدى تقديم صورته (الخليفة) للمجتمع (نقية) غير شائنة .

٥/١/٣ هل تعرف (الخليفة) على إمكانات حركته (داخليا وخارجيا) ؟ .

٦/١/٣ : مدى التكتل حوله في لحظات (الصراع المصيري) ؟ .

٧/١/٣ : مدى القدرة على التوازن بين الأهداف الايدلوجية (المهديّة) بوصفها مثاليات والأهداف القومية – بوصفها مصالح استراتيجية قومية ؟ .

٨/١/٣ : مدى قدرة (الخليفة) على أن يحقق (التفاعل) بين (المجتمع) و (الموقف) بما يجنب الصراع والصدام .

٢/٣ يري البعض أن القادة يولدون ولايصنعون Inhereted Rather Than Aeeorio وتقوم تلك الفكرة على نظريات تعددت ، وأسس ومهارات تفاوتت ويمكن حصرها إيجازا فيما يلي

١/٢/٣ سمات عضوية (القامة ، الهيئة) .
٢/٢/٣ قدرات عقلية وهي مجموعة الاستعدادت الفكرية والذهنية ويدخل في ذلك الإطار – الذكاء والقدرة على الإدراك والتطور والمزاج الصحي والقدرة على الإبداع والابتكار والمبادرة وسرعة التصرف وتوقع الاحتمالات .
٣/٢/ ٣ قدرات نفسية ويدخل في ذلك الشجاعة وضبط النفس والثبات والاتزان العاطفي.
٤/٢/٣ المهارات السياسية والإدارية مثل القدرة على تحمل المسئولية الحزم ، الفهم الشامل للأمور ، القدرة على الإقناع والتعبير ، القدرة على التوفيق بين عناصر العداء.
٥/٢/٣ وتبدو وظائف القيادة من خلال ذلك العرض في :
١/٥/٣ مبتكر الخطط (التنبؤ) ، الإدراك ، التصور
٢/٥/٣ تحديد الأهداف ، ووضع البرامج لتنفيذها
٣/٥/٣ استلام المعلومات وتقويمها (التحليل)
٤/٥/٣ اتخاذ القرارات
٥/٢/٣ ترمومتر العلاقات الداخلية (الصراعات) القدوة والنموذج (السلوك)

٤- الصورة التي رسمها المغرضون للخليفة :

١/٤ يمكن إيجاز(الصورة) التي رسمها المغرضون للخليفة على النحو الآتي :
١/١/٤ من حيث السلوك
١/١/١/٤ الاحتيال
٢/١/١/٤ المكر والخبث
٣/١/١/٤ القسوة
٤/١/١/٤ التعالي
٥/١/١/٤ حب الإطراء
٦/١/١/٤ الاستماع للنميمة
٧/١/١/٤ سرعة الانفعال
٨/١/١/٤ حب النساء
حب الترف
٢/١/٤ من حيث الملامح العضوية والصفات :
١/٢/١/٤ عربي القسمات (على وجهه آثار جدري)
٢/٢/١/٤ أقنى الأنف
٣/٢/١/٤ حسن الفم قصير الشفتين
٤/٢/١/٤ ضيق الجبهة
٥/٢/١/٤ جهير الصوت
٦/٢/١/٤ قصير اللحية

٦/٢/١/٤ منقبض الأسارير
٨/٢/١/٤ بقاري اللهجة
٩/٢/١/٤ غزير المادة
٣/١/٤ من حيث القرارات والإجراءات والتصرفات :
١/٣/١/٤ تصفية الأشراف ، وإحلال أهله في مواقعهم ، ويدخل في ذلك إجراءات الهجرة القسرية لقبائل دارفور لأمدرمان
٢/٣/١/٤ وسائل وأساليب (القتل) التي اتبعت مع :
١/٣/١/٤ القائد العسكري (الزاكي طمل)
٢/٢/٣/١/٤ الحسين الزهراء (فقيه)
٣/٢/٣/١/٤ عبدالقادر الكردفاني (قاضي وفقيه)
٤/٢/٣/١/٤ أحمد ود سليمان (أمين بيت المال)
٥/٢/٣/١/٤ إبراهيم ود عدلان (أمين بيت المال)
٦/٢/٣/١/٤ أحمد ود علي (قاضي الإسلام)
٧/٢/٣/١/٤ محمد عبدالكريم وعلي عبدالقادر ساتي
٨/٢/٣/١/٤ إعدام قادة قبيلة البطاحين
٩/٢/٣/١/٤ المادبو زعيم الرزيقات
١٠/٢/٣/١/٤ إهانة ود النجومي
١١/٢/٣/١/٤ الشيخ محمد عبدالماجد
٤/١/٤ من حيث ضعف فهمه للعلاقات الخارجية مع كل من :
١/٤/١/٤ مصر
٢/٤/١/٤ اثيوبيا
٣/٤/١/٤ الصراع بين انجلترا وفرنسا
٥/١/٤ من حيث حكم وإدارة الدولة :
١/٥/١/٤ تبريرات الحضرة النبوية لما يتخذه من قرارات وإجراءات
٢/٥/١/٤ منشور الشعرة في ١٣٠٢ هـ

هذه الاتهامات التي أوردها الكتاب المغرضون – لاتصمد للمواجهة إذ أنها تفتقر إلى دقة الحجة ، وطهارة المعيار – وصفاء الغرض .

٥/ مؤشرات عامة :

١/٥ للخليفة (١٨٤٦ – ١٨٩٩) فيما نرى موروث فطري بمعنى الدولة والقيادة – والدلالة على ذلك :
١/١/٥ إعراضه عن التوجه الفقهي الذي كان يعده له والده (تورشين)
٢/١/٥ تشبعه بفكرة المهدية – بوصفها تراثاً إسلاميا ، يحقق العدل باسم الدين

٥/١/٣ عرضه للفكرة على الزبير باشا
٥/١/٤ تطابق رؤاه مع المهدي
٥/١/٥ قدراته الفذة في التنظيم والإدارة
٥/١/٦ قدرته في التحكم القوي – من خلال الموازنات
٥/١/٧ أثر الثقافة (الدارفورية) – في رؤى الخليفة عبدالله السياسية
٥/٢ كان محركا فعليا للكثير من الأحداث في أثناء حياة المهدي
٥/٣ أورثته علاقته الوثيقة بالمهدي – صراعا شرسا مع أقرباء المهدي
٥/٤ استند في مشروعية سلطاته بوصفه خليفة إلى تعيينه عن طريق الحضرة النبوية وكانت في سنده في الدفاع عن ذلك سواء بالمواجهة العسكرية أو بالإجراءات القمعية أو بالحيلة
٥/٥ كان رجل دولة بحق من حيث :
٥/٥/١ حنكته في معالجة الأمور
٥/٥/٢ عدله وموضوعيته (من وجهة النظر المهديّة)
٥/٥/٣ شجاعته في مواجهة المواقف
٥/٥/٤ قدرته على التدبير العسكري والإداري
٥/٥/٥ أبوته الجامعة
٥/٥/٦ انتقاله بالمهديّة من مرحلة الدعوة لمرحلة بناء الدولة من خلال :-
٥/٥/٦/١ إنشاء جيش نظامي
٥/٥/٦/٢ تأسيس نظام قضائي
٥/٥/٦/٣ ربط البلاد بشبكة بريد فاعلة
٥/٥/٦/٤ إعادة تنظيم أمدرمان
٥/٥/٦/٥ الاستفادة القصوى من أهل العلم من المهنيين
٥/٥/٦/٦ تأسيس نظام إداري ذي كفاية
٥/٥/٦/٧ تأسيس بيت المال على أسس قوية
٥/٥/٦/٨ رؤيته الثاقبة لضرورة التجانس القومي ، ولو بالقوة
٥/٥/٦/٩ كابد خلال ثلاثة عشر عاماً
٥/٥/٦/٩/١ مواجهة الصراعات الداخلية العرقية والإقليمية
٥/٥/٦/٩/٢ عدم نضج عصبيته في مواقع الحكم الإداري
٥/٥/٦/٩/٣ الحصار الإقليمي والدولي
٥/٥/٦/٩/٤ تشويه صورة الدولة المهدية
٥/٥/٧ لابد من تجاوزات في مثل تلك الظروف – فهي طبيعية في نشأة وتأسيس الدول والمجتمعات ، يمثل المطروح خطوط عامة ، تتم دراستها التفصيلية – فيما بعد – وتحت مجهر النظرية السلوكية إن شاء الله

المراجع :

(١) صمت زلفو ،معركة كرري ط ١ ، دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ١٩٣٧

(٢) عبدالقادر فوزي *السودان بين يدي غردون وكتشنر القاهرة* ١٣١٩ هـ (طباعة جريدة المؤيد)

(٣) سلاطين ، السيف والنار في السودان

(٤) Chlaries Newfeld, ***A Prisonner of the Khalifa*** Champion & Hall William Clos & Sows , London 1899

(٥) وم شقير *جغرافية وتاريخ السودان* دار الجيل بيروت ، ١٩٦٧

(٦) محمد سيد داود ، *الصراع بين أولاد العرب وأولاد البلد في عهد الخليفة عبدالله* ١٨٨٩ - ١٨٩٨ - رسالة ماجستير جامعة الخرطوم ١٩٧١

(٧) عبدالغفار محمد علي أحمد؛ *الحركات الدينية والقبلية المعارضة للمهدية* ١٨٨١ - ١٨٩٩ ، رسالة ماجستير جامعة أمدرمان الإسلامية - د . ت

(٨) M. me Viance Yagi ; ***Le Khalifa Abdallahi Sa Vie, et Sa Politique*** , These , University , Paull Valery Montpelliers.

(٩) ابراهيم الجاك إبراهيم بعنوان - التربية الجهادية العسكرية في دولة المهدية ، مجلة دراسات إفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية العدد ٢٠ يناير ١٩٩ - رمضان ١٤١٩هـ بحث

(١٠) د. حامد ربيع ،*مقدمة في العلوم السلوكية* ، ط ٢ ، دار الجيل ، دمشق ١٩٨١

(١١) د. خميس السيد إسماعيل ،*السلوك الإداري* ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ١٩٨١

(١٢) د. نواف كنعان ،*القيادة الإدارية* ، ط ٣ ، مطابع الفرزدق الرياض ، ١٩٨٣

(١٣) مجلة الملتقي ، السنة الخامسة ، العدد ١١٢ ، الثاني من اكتوبر ١٩٩٤ ، الأسواق في عهد الخليفة عبدالله - لعثمان كباشي

(١٤) Du Jarcic , Gaston , ***L'Etat Mahdist Du Soudan,*** Libraire Oriental et Amercaine , Paris 1901

(١٥) Tarwell By Row . ***Prisoners of The Mahdi, The Story of The MahdistRevolte From The Fall of Khartoum to the conquest of The Sudan by Kitchner***, Longman London 1967

(١٦) OHR walder , Joseph . 10 ***Years of The Captuity in The Mahci Camps 1882 - 1892***

(١٧) A/B ***The Obald Ali Dinar , Last Sutan of Darfur 1898 - 1916,*** Longmans, London, 1965

(١٨) Dekeietian , Richard , ***The Charismatic Leadership of Islam The Mahdi of The Sudan***